وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية وقوله
تعالى وكان الله عزيزا يعني في اقتداره على من يشاء من عباده حكيما يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه
من اليهود وقيل عزيزا يعني منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم تيطيوس بن اسبيسانوس الرومي فقتل منهم
مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوة الكاذبة قوله تعالى وان من
اهل الكتاب يعني وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله
ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله ليؤمنن به يعني
بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية
حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى
قبل موته اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع
الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان
عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه انه اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء
احترق او تردى من شاهق او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات فجاءة فقيل له ارايت ان خر من فوق بيت قال
يتكلم به في الهوى فقيل له ان ضربت عنقه قال يتلجلج بها لسانه وعن شهر بن حوشب قال اليهودي اذا حضره
الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيقول
امنت انه عبد الله فاهل الكتاب يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من
اهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى
وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء
في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا احد يعبد غير الله الا امن بعيسى وانه عبد
الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض
المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة
اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية وفي رواية قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية
ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله
احد اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الامة
ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون
حاكما من حكام هذه الامة واما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني
يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية
يعني لا يقبلها من احد من اليهود ولا يقبل من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا قد يقال هذا
خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على
الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم

هو

هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم
والله اعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من قال ان ايمان اهل الكتاب يعني انما يكون عند نزوله في آخر
الزمان ولا ينكر ان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله
فيؤمنون به ويكون معنى الآية وما من احد من اهل الكتاب يدرك ذلك الوقت الا امن بعيسى بعد نزوله
من السماء وصحح الطبري هذا القول وقال عكرمة في معنى الآية وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى
لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يعني يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود
انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا واشركوا به وشهيد على تصديق من صدقه منهم وامن به
قال قتادة معناه ان يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه واقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل
فبظلم من الذين هادوا يعني فبسبب ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت
حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكر من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من انواع الكفر والكبائر العظيمة
مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم ارنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات
كانت حلالا لهم وهي ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال الطبري
في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا به وكفروا بآيات الله وقتلوا انبياءهم
وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه من المآكل وغيرها التي كانت حلالا لهم عقوبة لهم بظلمهم
الذي اخبر الله عنهم وروي عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه حرمت عليهم اشياء ببغيهم وظلمهم
ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على اهل التوراة ان يأكلوا الربا ونهاهم ان يأكلوا اموال
الناس ظلما فاكلوا الربا واكلوا اموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية قال الواحدي فلما وجه
تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيئا انتهى ما ذكره ولقد انصف
الواحدي فيما قال فان هذه الآية في غاية الاشكال لانه ثبت ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل
وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل فان
قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي
كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله تعالى
لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا
اجماليا فقال اعلم ان انواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق فاليه
الاشارة بقوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال
تارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشى وهو المراد بقوله واكلهم اموال الناس بالباطل
فهذه الاربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم
الطيبات عليهم واما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما قال المفسرون
انما قال منهم لانه تعالى علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني
من اليهود وهذا استثناء استثناه الله عز وجل ممن امن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي قد مضت
فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للحق على علم فقال لكن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)